## المحاضرة الأولى: مدخل تاريخي إلى علم السكان (التعريف بعلم السكان)

**مفهوم علم السكان (الديموغرافيا):**

الديموغرافيا هي دراسة السكان من حيث الحجم والتركيب والتوزيع وأسباب ونتائج التغيرات في تلك الخصائص وهي بذلك تتكون من مجالين أساسيين إحداهما يختص بتركيب السكان وهو يهتم بوصف السكان باستخدام مقاييس مثل الحجم، التوزيع العمري، والجغرافي، والسلالة والدين ومستوى توزيع الرأس المال البشري ،ويتضمن المجال الثاني ديناميكية السكان أي التغيرات التي تطرأ على تركيب السكان خلال فترة زمنية معينة وتحدث هذه التغيرات إما نتيجة الزيادة الطبيعية (المواليد، الوفيات)، أو الزيادة غير الطبيعية،(الهجرة).ويرى بعض علماء الاجتماع أن الديموغرافيا تتمثل في اهتمام الإحصاء بدراسة السكان، فهي تدرس الظواهر السكانية دراسة كمية إحصائية[1].

وقد حظي علم السكان (الديموغرافيا)في مسيرة نشأته وتطوره بعدد من المسميات فأطلق عليه البعض باسم **الإحصاء الحيوي**، وسماه إميل دوركايم تحت تأثير الفلسفة الاجتماعية بـ :**المورفولوجية الاجتماعية**، وذلك للدلالة على دراسة السكان واحوالهم من منظور اجتماعي، قبل أن يستقر هذا المفهوم عند مصطلح الديموغرافيا، واستخدمه لأول مرة العالم البلجيكي "أسيل غيار"(Asil Guillard)، وذلك في الكتاب الذي أصدره سنة 1855، تحت عنوان "مبادئ الإحصاء البشري أو الديموغرافيا المقارنة "،وهو المصطلح الذي جرى اشتقاقه من كلمتين يونانيتين وهما :(DEMOS)، وتعني الناس أو السكان، و(GRAPHY)والتي تعني وتشير إلى العلم أو الدراسة الوصفية ، لتصبح العبارة في دلالتها الإجمالية تعني العلم المهتم بوصف السكان ودراستهم دراسة إحصائية[2].

---

[1] -السيد علي العاطي السيد، **علم اجتماع السكان**، دار المعرفة الجامعية 2001،ص 14.

2-Louis Henry**, Population ,Analysis and Models** ,Edward Arnold Publishers ,1976,P,2.

فاستخدم علماء الاجتماع هذا المفهوم "الديموغرافيا" لتحديد ما يعبرون عنه حين يقومون بدراسة أحوال السكان دراسة إحصائية، ويتكون مصطلح الديموغرافيا (Démographie) من مقطعين من أصلين يونانيين هما:- الأول:( Démos)ويعني الناس ، والثاني:( Graphie)، للدلالة على علم وصفي يهتم بوصف السكان وبدراستهم دراسة إحصائية.[1]

**2.تعريف الديموغرافيا وعلاقتها بالعلوم الأخرى:**

**2. 1. تعريف الديموغرافيا:** تناول الكثير من المهتمين بهذا الحقل المعرفي، على إيراد عدد من التصورات الاصطلاحية الخاصة به، والتي كان القصد منها التوصل إلى صياغة مضبوطة لمعانيه الحقيقية، والتي كان أولها ما عبر عنه "أسيل غيار" في قوله أنها:" تمثل التاريخ الطبيعي والاجتماعي للجنس البشري، وهو بالمعنى الضيق الدراسة الرياضية للسكان من حيث تحركاتهم العامة وأحوالهم الفيزيقية والحضارية والفكرية والأخلاقية "[2].

وهو التعريف الذي اتسم بقدر من العمومية والغموض، الذي يكتنف عادة مجموع المساعي الأولى الهادفة لضبط معنى دقيق لأي حقل معرفي ناشئ. وهي المحاولات التي توالت بعد ذلك، من ذلك ما أقدم عليه الباحث الأمريكي "ويلكوكس"(Wellcox)، والذي استعرض في كتابه المسمى، "دراسات في الديموغرافيا الأمريكية" سنة 1940، عددا من التعاريف لهذا المصطلح، والتي أظهرت حجم التباين بين المعاني المختلفة لها، وانتهى من خلالها إلى أن هذه الكلمة تستخدم اليوم عموما لتدل على دراسة الظواهر ذات الصلة بالسكان، مثل المواليد والوفيات والهجرة وكذلك دراسة العوامل التي تؤثر في هذه الظواهر. وهو المعنى الذي يكاد يتفق مع ما ذهب إليه "دنيس رونج"(D. Wrong)، في قوله بأن: "الديموغرافيا تتناول أعداد السكان وتوزيعهم في منطقة ما، والتغيرات التي تطرأ على أعدادهم على مر الأيام، والعوامل الرئيسية التي تؤدي إلى

[1] -فراس البياتي ، **مورفولوجيا السكان**، موضوعات في الديموغرافيا، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2009، ص، ص ،25، 26.

[2]-علي عبد الرزاق جلبي، ، **علم اجتماع السكان، دار المسيرة، عمان، 2011**، ص،73.

هذه التغييرات، وما دام الناس يولدون ويموتون ويغيرون من أماكن إقامتهم باستمرار، فإنه تظهر هناك عوامل ثلاثة وهي: المواليد، الوفيات، الهجرة، والتي تسهم أكثر من غيرها في

تحديد حجم السكان ونموهم، وهي تمثل الموضوعات الأساسية في الديموغرافيا[1].

ومن خلال هذا تسمح لنا هذه التعاريف من التمييز بين نوعين من معاني المقاربة لمصطلح الديموغرافيا، يتسم النوع الأول منها بالضيق ويمكن في إطاره تعريفها بأنها: "تدرس حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم والتغييرات التي تطرأ عليهم" ، ويؤكد أيضا "لين سميث" على هذا المعنى في قوله: "أن الديموغرافيا في تناولها لظواهر الحجم والتوزيع والتكوين والتغيير، تهتم بالحقائق التي يمكن التعبير عنها في صورة كمية لأن مادتها تقوم على الأرقام، فهي بذلك تتوقف عند حد التحليل الإحصائي للسكان، الأمر الذي يجعل البعض يطلق عليها اسم التحليل الديموغرافي أو الديموغرافية الشكلية، حيث أنها تجري معالجات للعلاقات الكمية بين الظواهر الديموغرافية وتحررها من ارتباطها بغيرها من الظواهر[1]. أما المعنى الأوسع لها فإنه يستهدف دراسة خصائص إضافية عن الوحدات التي يتم دراستها كالسمات الاجتماعية والاقتصادية، حيث تتعلق السمات الاجتماعية بالانتماء والأثنية، والقومية ،الدين اللغة، الحالة

الزواجية المكانة الأسرية ، مكان الولادة، التعليم التحصيل الدراسي ...الخ، في حين تضم السمات الاقتصادية النشاط الاقتصادي، الحالة العلمية، المهنة، الصناعة، الدخل، مستوى المعيشة...الخ. وذلك إلى جانب سمات وخصائص أخرى مثل الميراث الجيني، الذكاء، الصحة...الخ، كما قد يمتد اهتمام الديموغرافيا بمعناها الواسع إلى تطبيق بياناتها ونتائجها على عدد من الحقول الأخرى، من خلال دراسة المشكلات المتعلقة بالعمليات الديموغرافية، والتي تتعلق عادة بضبط السكان على الموارد، التلوث البيئي، التحضر الشديد، التنظيم الأسري، تحسين النسل، المشكلات الحضرية، القوى العاملة، سوء توزيع الدخل، البطالة والفقر...الخ.، وهي السمات التي نادرا ما يتم معالجتها من قبل المصادر الاعتيادية للبيانات الديموغرافية،

[1] - علي عبد الرزاق جلبي، مرجع سابق، ص،74.

حيث يتم غالبا التغاضي عنها وإهمالها، وهو المعنى الذي يؤكده كل من "هوسر"(Hauser)، و "دنكن" (Duncan)، واللذان أجمعا على أن الديموغرافيا، الدراسات السكانية، أي أنها لا تقتصر على دراسة المتغيرات السكانية فقط، بل تشمل إلى جانبها أيضا دراسة التأثيرات المتبادلة بين المتغيرات السكانية ومتغيرات أخرى(الاجتماعية، الاقتصادية، البيولوجية، وراثية، جغرافية...الخ).

هو ذلك ليس في وضعها الراهن فحسب، بل تتناول بالوصف والتحليل وضعها في الماضي والمستقبل، وتستقصي التغيرات التي طرأت عليها في الماضي وتلك المتوقعة في المستقبل.

غير أن نقطة التحول في علم الديموغرافيا كانت عام 1798م عندما نشر توماس مالتوس، (T. Malthus)، مقالته المشهورة عن السكان وكانت هذه المقالة عبارة عن تجميع تفصيلي دقيق للإحصاءات المتوفرة آنذاك حول سجلات المواليد والوفيات ، حيث قام بتحليل ودراسة النتائج المتضمنة عليها هذه الإحصاءات ،ويعد مالتوس (T.Malthus)، أول رجل امتهن الديموغرافيا وتخصص فيها ، كما يعد أول محترف في الديموغرافيا [1].

**3.علاقة علم السكان (الديموغرافيا ) بالعلوم الأخرى:**

**3. 1.علاقة علم السكان (الديموغرافيا) بعلم الاجتماع:**

تتميز العلاقة بين علم الاجتماع ودراسة السكان بطبيعة خاصة، فعلى الرغم من أن دراسة السكان ذاتها أقدم من علم الاجتماع وأنها ظهرت وتمت من أصول ومصادر متنوعة إلا أنها اصبحت اليوم أكثر ارتباطا والتصاقا بعلم الاجتماع عن أي علم آخر ، وهناك ثلاث عوامل أساسية أدت إلى اعتبار السكان ميدان هام للبحث في علم الاجتماع .

1.أن موضوع دراسة علم الاجتماع هو المجتمع من حيث بنائه وتغيره، وحيث أن السكان يشكلون العنصر الأساسي في المجتمع فإنهم بالتالي يدخلون في دائرة اهتمام علم الاجتماع.

2.يعتمد علماء الاجتماع عند تحليلهم للظواهر الاجتماعية على المعطيات الديموغرافية والمتغيرات السكانية ويستفيدوا بها على المستويات المتباينة وخاصة الأسرة والمدينة وجماعات الأقليات والطبقات

[1] - السيد علي العاطي السيد ،مرجع سابق، ص15.

الاجتماعية وما إلى ذلك من الموضوعات التي تقع في بؤرة اهتمام علم الاجتماع.

3.أن تحليل ودراسة العلاقة بين الظواهر السكانية والظواهر الاجتماعية يثري علم الاجتماع ويساعده على الوصول إلى قدر عال من التعميم وتجديد المعطيات والوقائع مما يؤدي إلى تطوير نظرية علم الاجتماع . ومن ناحية أخرى فقد استفاد ميدان السكان نظريا ومنهجيا كثيرا من علم الاجتماع ،فلقد حرص علماء الاجتماع على توفير الشروط النظرية والمنهجية لعلم اجتماع السكان وتثبيت دعائم استقلاله وتميزه عن مجموعة النظم الفكرية الأخرى وذلك بتوفير القضايا الأمبريقية والاستقرائية عن المتغيرات السكانية والاجتماعية وبالاستعانة بمناهج طرق وأدوات البحث الاجتماعي في دراسة الظواهر السكانية[1].

**3. 2.علاقة الديموغرافيا بعلم النفس:**

ترجع علاقة الديموغرافيا بعلم النفس إلى عقود طويلة مضت، وذلك حينما لجأ "كينز" للاعتماد في تفسيره للعوامل المتحكمة في تحديد شقي الطلب الكلي الفعال(أي الطلب على الاستهلاك والطلب على الاستثمار) إلى التحليل النفسي لسلوك المستهلكين والرأسماليين، ولم يلجأ إلى القوانين الاقتصادية التي تظهر في مجال الإنتاج والتوزيع، حيث أدعى "أن الناس يميلون إلى زيادة استهلاكهم كلما تزايد دخلهم، ولكن ليس بنفس الكمية التي يتزايد بها الدخل"، وهو القانون الذي رأى أنه ذو صلاحية مطلقة باعتباره متصل بالطبيعة الإنسانية [2].

ولم يتوقف هامش التعاون عند هذا الحد، حيث أبدى العديد من علماء النفس في السنوات الأخيرة اهتمام متزايد بمعالجة عدد من المواضيع ذات الارتباط الوثيق بالسلوك الديموغرافي، ومن أكثرها تناولا نذكر عمليات تحديد النسل، وذلك رغم كونها مسألة ديموغرافية بحتة، حيث حاول الكثير من المهتمين والدارسين لهذا التخصص معرفة الدوافع التي تصنع الفوارق في استجابات الأفراد، فتدفع البعض إلى كثرة

[1] - مصطفى عبد الجواد، مرجع سابق، ص،ص،15، 16.

[2] - رمزي زكي، **المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الجديدة**، سلسلة علم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ،1984،ص123

الإنجاب بعضهم الآخر إلى قلته[1].

**3.3.علاقة الديموغرافيا بالأنثروبولوجيا:**

يتميز مجال الأنثروبولوجيا بمجال واسع، جراء تناوله ظواهر كثيرة ومتنوعة تتصل بالإنسان، مما أدى إلى تشعبه إلى عدة فروع معرفية أبرزها **الأنثروبولوجيا الطبيعية** والتي تدرس المواصفات الطبيعية للإنسان، وكذا **الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية** التي تهتم بالإنسان باعتباره ظاهرة اجتماعية، لها نمط معين في المعيشة والسلوك والعقائد والتقاليد[2] . وهي المعطيات التي بات يستفيد منها علماء السكان في بعض دراساتهم، ولا سيما ما تعلق منها بالبحث في الأصول السلالية والثقافية لسكان مجتمعات معينة، ولقد تمخض عن ذلك ما بات يعرف بتمييز العنصر والتفاوت في الخصائص النوعية لبعض السكان دون غيرهم. ومن أمثلة ذلك الجهود التي بذلها نفر من العلماء لدراسة التغيرات النوعية والسلالية التي تطرأ على السكان تحت تأثير الهجرة والانعزال، والذي يأتي على رأسهم "واجنر"(Wagner ) ، راتزل(Ratzel)، ليو فروبينيوس(Leo Frobenius) ،فوي(Foy)، أنكرمان(Ankerman)...وغيرهم، والذي قسم بعضهم سكان العالم على أساس دوائر ومناطق ثقافية وإثنولوجية، على نحو ما فعل "راتزل" وليو فروبينيوس، واللذان حاولا إيضاح العلاقات المكانية والإقليمية بين مختلف الأجناس البشرية، كما حولا إثبات وجود علاقات أساسية بين هذه الأجناس تساعد على معرفة الثقافة الأصلية والحياة الفكرية الأولى لأقدم السلالات كم توضح العلاقات الزمانية بين الثقافات

المتعددة المنتشرة بين السكان في مختلف القارات[3].

**3. 4 علاقة الديموغرافيا بالإحصاء:** يشكل الإحصاء أحد الروافد المعرفية الهامة التي يتغذى منها علم

---

[1] - طارق السيد، **علم السكان**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر ،2008 ،ص22.

[2]- منير إسماعيل أبو شاور، أمجد عبد المهدي مساعدة، **دراسات في الجغرافية الديموغرافية**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان،ص125.

[3] -مصطفى عمر حمادة، **الأنثروبولوجيا والتنمية السكانية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2012، ص60

السكان، فالبيانات الخام التي يبحث الديموغرافي في معرفتها سواء كانت في صورة تعدادات أو تسجيل للوقائع الحيوية...الخ. وفي أحيان كثيرة من عمليات تجميع تبادر بها مصالح إحصائية مختلفة، لا يكون هدفها غالبا علم السكان ولا تمت له بصلة مباشرة، كما هو عليه الحال بالنسبة لنتائج التحقيقات الميدانية المعدة بشكل خاص لدراسة موضوع ما، كمعطيات هيئات التأمين والضمان الاجتماعي، والمعلومات الحصرية المستقاة من الدوائر الوطنية للإحصاء ولكنها تشكل في النهاية المادة الأساسية التي يشتغل عليها المختص في علم السكان. أي أنها هي التي تقدم مادته الرئيسية عن أعداد السكان وخصائصهم، توزيعهم عبر المكان وتطورهم عبر الزمان[1].

كما أن أحد الأدوار الرئيسية لعلم السكان هي تحويل معطيات الرصد الخام التي يحصل عليها بطريقة إلى نتائج معدة، وذلك من خلال ما يصطلح على تسميته بعملية التحليل السكاني ، وفي كل ذلك فإن المقاييس الإحصائية تكون قاعدة ثابتة في اغلب الأبحاث السكانية، وهذا لا يفاجئ أحدا طالما أن موضوع الدراسة يتقبل العمليات الحسابية بشكل جيد، ومثال على ذلك فالطلاق والموت تنتجان عادة عن استطراد مجوعة معقدة من الوقائع، فمن الملائم لتوضيحهما أن لا نبحث فقط عن معرفة أعدادهما، بل أيضا معرفتها حسب مجموعة متعددة من المعايير، يمثل بعضها آثار الظواهر السكانية على المجتمع، كالجنس والعمر ،الحالة المدنية، مقر الإقامة، المستوى التعليمي، فئات الأسر، النشاط الاقتصادي...الخ،

أينيمكن حسابها بشكل مشترك أو منعزل، وبهذا الشكل فإننا سوف ندرس مظاهر حالة السكان[2].

**3. 5.علاقة الديموغرافيا بعلم التاريخ والجغرافيا:** ترتبط الديموغرافيا بالتاريخ مما نتج عنه ما يطلق الديموغرافيا التاريخية، وهي تهتم بدراسة الدور الذي تلعبه الأحداث التاريخية في النواحي الديموغرافية وتوقفنا

[1] -مصطفى عمر حمادة ،مرجع سابق، ص، ص، 20، 23.

[2] -رولان بريسا، **التحليل السكاني، المفاهيم والطرق والنتائج**، ترجمة محمد رياض ربيع، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1985، ص،ص،14، 15.

على تطور النمو السكاني وتغيراته وأحوال السكان في كل حقبة تاريخية والعوامل التي تلازم حركات السكان فقد درس "يوليوس بلوخ" موضوع توزيع السكان في أوروبا في عصر الإمبراطورية الرومانية والعصور الوسطى . وتستهدف دراسة السكان في ضوء التاريخ أن تقف على مصادر الثقافة والقيم الاجتماعية التي تلعب دورا هاما في اتجاهات الإنسان نحو الأنسال، فالتاريخ يمثل البعد الزماني بالبنية السكانية.[1]

وتسعى الديموغرافيا التاريخية إلى الوصول إلى قوانين عدة وعامة تهتم بدراسة السلوك الإنساني وصولا إلى التعميمات فالمؤرخ يستخدم البيانات الديموغرافية حسب سياقها التاريخي والاجتماعي إذ أنها تتقاسم أهميتها بمشاركتها بعوامل أخرى مثل البنية الجغرافية.

**3. 6علاقة الديموغرافيا بعلم الجغرافيا:** اهتمت الجغرافيا بدراسة الظواهر السكانية منذ القدم من خلال ما يطلق عليه إسم "الجغرافية البشرية" ،(Human Geography) ، وهو علم يدرس الإنسان من حيث تأثره بالبيئة الطبيعية وأثره فيه ويركز على العلاقة بين الجغرافيا والسكان، فإذا كانت الجغرافيا تدرس الأرض ومدى خصوبتها أو جدبها، وما تنطوي عليه من موارد طبيعية ، وكذلك البيئة والمناخ، فإن الأرض والبيئة ليست بيئة طبيعية فحسب، بل هي بيئة بشرية كذلك، فهي لا تخلو من السكان ومن هنا ما ظهر ما يسمى "بالديموغرافيا الجغرافية"، وهي علم يهتم بدراسة وتحليل الظواهر السكانية مثل :حجمهم ونموهم واتجاهات الخصوبة ومعدلات المواليد والوفيات والاختلافات بينهم من مكان إلى آخر في النواحي العرقية والعنصرية وكذلك توزيعهم على المناطق التي ينقسم إليها المجتمع وتوزيعهم ما بين الريف والحضر والطابع المجتمعي للسكان، والهجرة ونتائجها وكذلك دراسة السكان من حيث تركيبهم وعلاقة ذلك كله بالعوامل الجغرافية، مثل: الأرض ومدى اتساعها أو ضيقها وخصوبتها ومواردها الطبيعية، وكذلك الجبال والسهول والوديان والمناخ والمناخ ...الخ.[2]

---

[1] - مصطفى خلف عبد الجواد، **علم اجتماع السكان**، دار المسيرة، عمان، 2009 ،ص17.

[2] - حسين عبد الحميد رشوان، **السكان والمجتمع، دراسة في علم الاجتماع السكاني** ،دار الوفاء، دنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ،ط3، 2011 ص،ص17، 18.